

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(111) أتانني الكتاب، وجعلني نبياً... إلى آخر ما قال، فأسقط بأيديهم، وأخذتهم الدهشة، وانحلَّ كل إغلاق وإبهام، فأمن من آمن عن دليل، وأشرك من قال أنه ابن الله. هذا النحو من الإيجاد هو الخلق الإعجازي دون مثال أو سبيل طبيعي، والخلق الإعجازي الآخر هو الخلق الفطري في التناسل البشري الذي أصبح فيما بعد طبيعياً، وإن كان في أصل الإيجاد إعجازياً، لأنه عاد متعارفاً عن طريق التناسل، أما حقيقة هذا التناسل وكيفيته، وجعل الإرادة التكوينية متعلقة بها، فهو مما لا تصل إليه يد الطبيعة، وإنما هو من صنع أحسن الخالقين، وقد أشار الله تعالى إلى الخلقين معاً بقوله تعالى: (وَإِذَا خَلَقَ كُومَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُهُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *) (1). هذه العوالم الهائلة كلها يسيرة عند الله، فهو الخالق من التراب، وهو الخالق من النطفة، وهو جاعل الزوجية، وهو العالم بما تحمل كل أنثى، وما تضع، يضاف إلى هذا كله إحصاء هذه العوالم في كتاب مبين: المعمر وغير المعمر، وما فوقهما وما دونهما، ولكن الإنسان يطغى: (وَمَضَرَبَ لَدُنَّا مَثَلًا وَنَسِيَّ خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ *) (2). فكيف بدأ هذا الخلق على النحو الطبيعي كما هي الحال اليوم، وإلى انقضاء أجل الدنيا، وقيام الساعة، هذا ما يجب عليه القرآن الكريم مستدلاً فيه على البعث والنشور، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مَّخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَّخْلُوقَةٍ لِّذُبِّدَنَّ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُمِرَّدُ إِلَى أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً) (3). (1) فاطر: 11. (2) ياسين: 78 - 79. (3) الحج: 5.